صندوق للعرض

لا تتحدث عن قوتك أمام ضعيف، ولا عن سعادتك أمام حزين، ولا عن مالك أمام فقير، زن كلامك وراع شعور الآخرين، وكن راضيًا بما تملك!

وضعت كل ما لديك في صندوق للعرض ،وتسير متهاويا على كل جانب لتدع الآخرين يلقون نظرة على ما لديك، كل ما في صندوقك يلمع كضي النجوم في ليلة صافية، تقابل من كل صنوف البشر، هناك من يفغر فيه هاتفا يا لك من عظيم، يا لك من نجم ساطع، تفتخر بذاتك وتقف وهامتك مرفوعة عالية، تكاد من الفخر أن تصل إلى الأعلى لتلقي نظرة خاطفة على النجوم بالفعل، تستقر لديك تلك الفكرة، تلك الصورة، لا تريد أذناك أن تتنازل عن معسول الكلام الذي أطربها، وتظل تطارد طيف الإعجاب الذي يلمع في عيون من حولك، تتساءل هل هناك من سيقول كلمة تزيد من علو هامتي التي تخطت النجوم، هل الجميع ألقوا النظر على صندوقي اللطيف الذي يحوي شكلي الجميل أو صقل موهبتي أو وفير مالي أو جزيل خبراتي وعلمي، من سيزيد الكلمات سجعا ويطيل المدح والتعبير والبوح في محاسني .

وفجأة أسمع أصواتا وكلمات تؤذي مسامعي وأتضرر ممن لا يعجبهم صندوقي وأخذل وأحبط وأظل أفكر لماذا قالوا ذلك يا صندوقي، فأنت جميل الصنع، كلك يلمع كالجواهر النفيسة، كيف احتقروك وأشعروك بأنك بلا معنى، بلا جدوى، أتحسر، أتحير، أبكي، أعيش صراعات دامية تنتزع مني سلامي وفكري ومشاعري، أنشغل بحل المعضلة التي تستحوذ على كل سبل عقلي ؛ هل أغير الصندوق أم أزيد محتوياتي لمعانا وبريقا؟ هل أصدق من مدحوني أم من انتقدوني؟ وماذا عن هامتي التي كانت تسبح مع النجوم في سماء الفخر والزهو، أين هي الآن؟ سرت أسحب صندوقي من ورائي كمن يجر همومه وليست كنوزه، بينما كنت شارد الذهن، تعثرت في حجر وانطرحت أرضا وانطرح معي الصندوق وتبعثرت محتوياته حولي، كل شيء أصبح قطع متناثرة لا قيمة لها.

صرخت: هذا كل ما أملك، هذا ما كنت أفتخر به، هذا ما كنت استمتع بحوزتي إياه في وسط الجميع، هذا ما كان يعطيني قيمة ومعنى، تبعثرت مواهبي وشكلي وشهرتي ومعارفي وعلمي، سقطت أرضا، صارت بلا أي فائدة ، لم أصدق هول المنظر الذي كان يقبض قلبي، أأبكي أم أنتحب أم ماذا أفعل، ألملم ما تبعثر، أأحاول لصقه وأعادته إلى صورته الأولى، هل سيعود كما كان ؟

استسلمت للأمر الواقع وحاولت النهوض من جديد بدون صندوق، لن أعتمد على صناديق من اليوم، قيمتي في عقلي، في رسالتي وليست سطور من الكلمات ستزيد أو تنتقص من كياني، سياتي يومًا وتنزع منك كل أمور لمعانك، شبابك، أصدقائك، مواهبك، فدوام الحال من المحال، ستبهت ملامحك وتنطبع على وجهك أتربة الزمن والعمر والتغييرات، وترى صندوقك ينكسر ويندثر أمام عينيك، لا تضع قيمتك في كلمات الآخرين، لا تعتمد على تقديرهم لك ، ضع تقديرك لذاتك يعلو أي تقدير، اجعله لا يتأثر بمكنونات الآخرين، امض في طريقك ولا تلق بالا لأية همسات أو صرخات، ضع رسالتك وقيمتك وهدفك نصب عينيك ولا تتسكع تعرض ما لديك لمن حولك حتى تستجدي بعض الكلمات، أعرف من أنت ولا تعش في الوهم، أنت فقط من قادر على تحديد حياتك وقيمتك، لا تعط فرصه للزمن أن يضحك بك بعدما يدا لك ، وفي غفوة يسرق كل ما تملك!

.....